15 em Année No. 744

Lundi — 6 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — بابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الهيضة بالهيضة تذكر :

من ذكريات الطفـــولة

كنت فى الثالثة عشرة من عمرى حين وفد على مصر وباء الهيضة فى سنة ١٩٠٢ ، وكانت قريتنا الصغيرة الفقيرة تنقل خُطاها الوئيدة فى طريق الحياة وادعة بالأمن ، ناعمة بالرضا ، هانئة بالقناعة .

كان المرض قليلا ما يغشاها ، فإذا غشيها غشى الكهل الضعيف . وكان الموت كثيراً ما ينساها ، فإذا ذكرها ذكر الشيخ الهرم . لذلك كان المرض لندرته مرهوب الإسم ، وكان الموت لوحشته مهيب الصورة . فإذا مرض الصحيح تجمع القوم فى منظرته أو على مصطبته ، يؤانسونه ويمرضونه ويدعون له ؛ وإذا مات المريض لبسوا الحداد عليه العام كله ، فلا يلبسون الجديد ، ولا يحلقون اللحى ، ولا يأكلون الفسيخ ، ولا يصنعون الكعك ، ولا يباشرون المناجع .

وفى ذات ليلة من ليالى الصيف على ما أذكر ، قيل إن لأسرة فلان قريباً غريباً علموا أنه مريض فذهبوا ليعودوه فعادوا به . وهو يشكو مرضاً لم يشكه أحد من قبل : ظمأ لا ينقعه ماء ، وقىء لا يمنعه دواء ، وإسهال لا يقطعه شىء . وفى الصباح الباكر نعته الناعيات فأجمت القرية على الحزن عليه ، وأقبلت الجيرة على العزاء فيه ، ورسموا المأتم أسبوعاً كالعادة . إلا أن ثلاثة من أسرة الفقيد مرضوا تلك المرضة ، وماتوا تلك الموتة ، فلم يقوضوا سرادق العزاء ، حتى أتى على جميع الأسرة الفناء . وصحا الناس من دهشة الروع وذهول الفاجعة ، فإذا كل غرفة فيها مريض ، وإذا كل ساعة فيها جنازة ! وهان الموت ورخصت الأموات ، فلا يُعاد محتضر ، ولا يشيَّع ميت ، ولا يُعزى حى . وقال فقهاء القرية إنه الهواء الأصفر الذى أهلك الله به عاداً الأولى فهيهات أن يعصم الناس منه بيوت مغلقة ، أو حصون معلّقة . فاستكان القوم للقضاء ، وصفت قلوبهم من الحقد ، وعزفت نفوسهم عن الدنيا ، وانصرف كل امرىء عن عمله فى انتظار أجله.

***

كان الموت الوحىُّ الفريع يختزم لِداتى فى الحارة واحداً بعد واحد ، فخلت الملاعب من الأطفال ، وأقفرت المكاتب من الصِّبية . وكان شوقى إلى بعضهم يدفعنى إلى أن أزورهم خلسة ، فأجد فيهم من يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سمار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجْع القىء ! لقد شغل كل إنسان بنفسه عن غيره ، ولها كل بيت بكبيره عن صغيره .

ولكن (زهرة) اليتيمة زينة الصبايا وبهجة الحارة كانت فى السواد من قلب أختها ، وفى السواد من عين أخيها . مرَّضتها الأخت حتى أخذتها سكرة الداء ، ومرَّضها الأخ حتى غشيته غمرة